إحقاق الحق ودفع الهراء في ذكر مناظرة جرت بيني وبين بعض الوزراء

تأليف
العلامة القاضي الحاج
أحمد سكيرج
الخزرجي الأنصاري



تحقيق الأستاذ محمد الراضي كنون
الحسني الإدريسي

مقدمـــــة

بسم الله الرحمان الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

أود في صدر هذه المقدمة أن أتوجه بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا التقييد المبارك. المنسوب لعالم فاضل. صاحب فكر ومنهج وصـدق وإخـلاص. وسلوك قائم على قواعد الإسلام وأسسه الصحيحة. ومقومات الشخصية المغربيـة الفـذة. وكيف لا وقد أعطى لوطنه أجزل العطاء. وكانت حياته سجلا ناصعا لمرحلة هامة من حيـاة المغرب العلمية والثقافية.

وبدون إطالة فالعلامة سيدي أحمد سكيرج هو واحد من أبرز الشخصيات التي جمعت بـين فضائل العلم والأدب والأخلاق. والتصوف والأصالة والوطنية الصادقة. أضـف إلـى ذلـك اعتزازه العظيم بالعقيدة الإسلامية السمحة. وهي صفة بارزة من خـلال مواقفـه وقيمـه وسلوكه. فقد كان عالما فذا. يجسد شخصية الفقيه المغربي المدافع عـن حـوزة الـدين. المتصدي ببسالة لكل من خولت له نفسه الإساءة لشيء من أركانه أو واجباته ومكوناته.

كما كان محبا لوطنه. دائم التغني بخصائصه ومميزاته. وفيا لملكه. صادق الولاء لعرشـه. مؤمنا بدوره العظيم في حماية المقدسات الدينية والوطنية.

ترجمة المؤلف

ولادتـــــه

هو من مواليد مدينة فاس خلال منتصف شهر ربيع الثاني عام 1295 هـ - أبريـل 1878 م. وبها نشأ داخل أسرة فاضلة. ذات مآثر جليلة ومزايا جمة. وقد أنجبت هذه الأسرة نخبة من علية العلماء والأدباء والمؤرخين الكبار. إذ يكفينا أن نذكر منهم الأديب الشاعر الكاتـب محمد بن الطيب سكيرج.. والمؤرخ الفقيه عبد السلام بن أحمد سكيرج. مؤلف كتاب: نزهة الإخوان وسلوة الأحزان. في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر مـن الأعيان. والعلامة المهندس الزبير بن عبد الوهاب سكيرج.

نشأته وتحصيله

وبمسقط رأسه المذكور تلقى مختلف مراحل تعليمه. تحت عناية دقيقة مـن والـده الحـاج العياشي بن عبد الرحمان سكيرج. الذي أولاه اهتماما خاصا. نظرا لما لاحظه فيه منذ البداية من شفوف ونبل وتطلع إلى المعالي والكمالات. وذكاء وفطنة عجيبة.

وعموما فقد أدرك مراده في الدراسة والتحصيل. وبلغ منيته في التربية والسلوك. فحصـل معظم ما كانت تعج به جامعة القرويين من علوم وفنون مختلفة. حيث برع في الفقه والنحو واللغة. والسيرة والحديث والتصوف.والأدب والحساب والشعر.

وقد أسهمت في تكوينه نخبة من خيرة علماء الجامعة المذكورة. كعبد الله البدراوي. وعبـد المالك العلوي الضرير. والحبيب الداودي. وابراهيم اليزيدي. وعبد الله بن خضراء وغيرهم.

مؤلفـــاته

للعلامة سكيرج مؤلفاته كثيرة. تزيد على مائة وستين تصنيفا. مما يدل على غزارة علمـه ورصيده المعرفي الواسع. وتعود كثرة تآليفه إلى حبه الكبير للكتب. وتعلقه بهـا. وإقبالـه على مطالعتها. فقد كان يمضي جل أوقاته منشغلا بها. ولوعا بمحتوياتها. يقـرأ ويكتـب. ويعلق ويشرح ويؤلف.

وللإشارة فقد تعرضنا لذكر عناوين مؤلفاته بتدقيق في كتابنا: رسائل العلامة القاضي أحمـد سكيرج. فلينظرها من أراد التوسع في هذا الباب.

وظائفـــه

تنقل العلامة سكيرج بين عدة وظائف. نجملها في ما يلي:

ناظر لأحباس فاس الجديد ما بين عامي 1332 هـ - 1336هـ موافق 1914م- 1918م.

قاضي لمدينة وجدة ونواحيها ما بين عامي 1337هـ - 1340هـ موافق 1919م - 1922م.

عضو ثاني بالمحكمة العليا بالأعتاب الشريفة بالرباط ما بين عامي 1340هـ - 1342هـ موافق 1922م - 1924م.

قاضي لمدينة الجديدة ونواحيها ما بين عامي 1342هـ - 1347هـ موافق 1924م- 1928م.

قاضي لمدينة سطات ونواحيها ما بين عامي 1347هـ - 1363هـ موافق 1928م- 1944م أي إلى حين وفاته رحمه اللـه.

سلـــوكه

كان رحمه الله مضرب المثل بفاس وبغيرها من المدن التي استوطنها. وذلك بجده وتدينه وعلمه. وورعه وشكره وقناعته. فقد كان متواضعا. بعيدا عن الكبر والإدعاء. غير ميال للتفاخر ولا محب للظهور. على درجة عالية من الورع والتقوى والثبات على الحق. يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وكثيرا ما كان يغير المنكر بيده. لطيف الروح. عذب الحديث. رائع النكتة. يخفي الألم. ويبدي الإبتسام. لم يقعده مرضه (داء السكري) عن خدمة دينه وجيله وأبناء وطنه.

انخراطه في الطريقة التجانية

أتيح للمؤلف التدرج بين يدي كبار مشايخ عصره. لاسيما بمدينة فاس مسقط رأسه. وناهيك في هذا الشأن بالعلامة سيدي محمد (فتحا) كنون. وأحمد العبدلاوي. وعبد المالك العلوي الضرير. وحميد بناني. وعبد الله البدراوي. وعبد الكريم بنيس. وغيرهم من جلة علماء الطريقة المذكورة.

وعلى هؤلاء تمسك بهذه الطريقة وانضوى في سلك رجالها الأبرار. ولم يقتصر على مجرد الأخذ والإنضواء فقط. بل عمق معارفه بكثرة المطالعة لكتبها. والإعتكاف على ذكر أورادها الساعات الطوال. كما سعى إلى لقاء العديد من مشاهير رجال هذه الطريقة خصوصا منهم العارف بربه سيدي أحمد العبدلاوي. فقد كان يقضي الكثير من وقته في مذاكرته. لا يمل من ذلك ولو جلس إليه النهار بأتمه.

وخلاصة القول فقد انخرط في الطريقة التجانية عام 1316هـ - 1898م. وكان عمره إذذاك لا يتجاوز الإحدى وعشرين خريفا.

اهتمامه العريض بالشعر

يعتبر الشعر واحدا من أهم المجالات التي تجلت فيها شخصية صاحبنا المذكور. فقد قرضه منذ حداثة سنه. وظل على ذلك إلى حين وفاته رحمه الله. حيث ترك ثروة شعرية مهمة. توزعت بين كافة الأغراض السائدة إذ ذاك. من مدح ووصف وغزل ورثاء ومولديات ومساجلات وإخوانيات. وما إلى ذلك من موضوعات مختلفة.

ويتميز شعره بالقوة والجزالة. وحسن الصياغة. ودقة المعاني. مما ينم على اطلاعه الواسع بقواعده وأدواته. ذلك الإطلاع الذي جعله أحد جلة شعراء جيله. فكان محط إعجاب كثير من القراء والدارسين. وذوي الاهتمام بالقريض وشؤونه.

ويمكننا تلخيص ثروته الشعرية فيما يلي:

مدح النبي صلى الله عليه وسلم: 15 ديوانا

مدح شيخه أبي العباس سيدي أحمد التجاني: 3 دواوين

إلى غير ذلك من مئات القصائد المتنوعة الأغراض. لاسيما في المجال التربوي. مع ميادين السلوك والنصح والمواعظ.

تلامذته

تخرجت بصاحبنا المذكور طائفة من الفقهاء والأدباء الكبار. ممن استفادوا من خبرته واقتبسوا من أنواره. نذكر منهم السلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ العلوي. ومحمد الحافظ المصري. وأحمد بن الحسين الدويراني. ومحمد امغارة. ومعاوية التميمي التونسي. والشيخ ابراهيم انياس الكولخي. وأخويه محمد الخليفة ومحمد زينب.

وفاته ومدفنه

كان رحمه الله مصابا بداء السكري. يعاني من شديد مضاعفاته. لاسيما في آخر حياته. حيث استفحل عليه المرض. مما اضطره للخضوع لعملية جراحية بإحدى مستشفيات مدينة مراكش. وقد توفي إثر هذه العملية بقليل. وذلك يوم السبت23 شعبان عام 1363هـ - 12غشت1944م

وشيعت جنازته في اليوم الموالي إلى ضريح القاضي أبي الفضل عياض. فدفن فيه بعد أن عاش ثمانية وستين سنة. كانت كلها رحلة حياة مليئة بالمواقف العلمية الموفقة والتضحيات الجسام.

وقد تألمت لوفاته جل الأوساط العلمية والثقافية. سواء بوطنه المغرب. أو بغيره من الدول المجاورة كالجزائر وتونس ومصر وسنغال والسودان.

معلومات حول هذه المناظرة

تنقسم هذه المناظرة إلى شطرين. وقع الشطر الأول منها بمدينة الرباط. وعلى وجه التحديد بمنزل وزير العدلية إذ ذاك العلامة محمد بن عبد السلام الرندة. أما الشطر الثاني فقد وقع بدار الباشا التهامي الأكلاوي بمراكش. وهو قصر الستينية. ويعود تاريخ المناظرتين معا إلى سنة 1348هـ-1929م. وكان العلامة سكيرج حينها قاضيا لمدينة سطات ونواحيها. كما كان حديث العهد بهذه المدينة. لم تمر عليه بها سوى سنة واحدة.

وقد أملى العلامة سكيرج هذه المناظرة على ابنه الأستاذ الأديب عبد الكريم أواخر السنة نفسها 22 رجب 1348هـ- 24 دجنبر 1929م.وذلك تحت إلحاح متزايد من ابنه المذكور. الذي أبى إلا أن يكتبها مخافة ضياع ما اشتملت عليه من فوائد.

وبناء عليه أقدم للقارئ الكريم نص الصفحة الخطية الأولى من هذه المناظرة. وهـــي بخـــط نجل المؤلف الأستاذ الأديب عبد الكريم سكيرج.

في 22 رجب عام 1348هـ

الحمد لله انا مثبت هنا مذاكرة جرت بين سيدي الوالد الوزير في ساعة ما وجب اقتراحه علي كتابتها خوفا على ضياع الفوائد المشتملة عليها، قال حفظه الله:

اللهم انا نشكو اليك من قوم كثروا في زماننا هذا قد استولت عليهم الغفلة عن ذكرك حتى اطلقوا السنتهم في الذاكرين. واستباحوا اعراض من دل عبادك عليك بدعوى كونهم من المصلحين. فكان من نتائج اغراضهم اعراضهم عنك بالخوض في اعراض الصالحين. بحرمتك الا ما كان تبرئ منهم من اخلص في الدفاع عن جانب السنة والكتاب. وان كان في غلطه حجاب عن وراثه وقف ما تراه حاله وهو نفسه. فلكنا في زمرة المنتصرين للحق. وارنا اللهم الحق حقا لنتبعه. والباطل باطلا لنجتنبه بتوفيقك يارب الارباب. بجاه من له الجاه. عليه صلاة الله. وعلى كل من والاه.

اقول الحمد لله في خلافه تشرفت بحضور جمعية المفادين في مجمع حفيل بدار وزير العدلية الشرعية العلامة السيد [illegible]. بلغه الله قصده. في احتفاله باعضاء جمعية اوقاف الحرمين الشريفين التي من جملتهم يمثلني عضوا عاملا كنت في هذه الاخيرة. وكان من الحاضرين في هذا الاحتفال سيادة الصدر الاعظم للاعتاب الشريفة الشريف الحاج محمد المقري ورئيس التشريفات الوزير الشيخ المبعوث الشريف الحاج قدور بن غبريط. ووزير الاحباس العامة الشريف محمد [illegible].

بسم الله الرحمان الرحيـــم

في 22 رجب عام 1348هـ

الحمد لله. إني مثبت هنا مذاكرة جرت بين سيدي الوالد وبين من سماه فيها. اقترحت عليه كتابتها خوفا على ضياع الفوائد المشتملة عليها. قال حفظه الله:

اللهم إنا نتبرأ إليك من قوم ظهروا في زماننا هذا. قد استولت عليهم الغفلة عن ذكرك. حتى أطلقوا ألسنتهم في الذاكرين. واستباحوا عرض من دل عبادك عليك بدعوى كونهم من المصلحين. فكان من نتائج أغراضهم إعراضهم عنك بالخوض في أعراض الصالحين. فبحرمتك أسألك أن تهدي منهم من أخلص في الدفاع عن جانب السنة والكتاب. وإن في غلظ حجاب من ورائه وقف ما تراءى له. فعد نفسه (غلطا) في زمرة المنتصرين للحق. وأرنا اللهم الحق حقا لنتبعه. والباطل باطلا لنتجنبه. بتوفيقك يا رب الأرباب. بجاه من له الجاه. عليه سلام الله. وعلى كل من والاه.

أما بعد ولله في خلقه شؤون. فقد جمعتني المقادير في مجمع حفيل بدار وزير العدلية الشريفة العلامة الرندة[1]. بلغه الله قصده. في احتفاله بأعضاء جمعية أوقاف الحرمين الشريفين[2]. التي من جملتهم يسمى فيها عضوا عاملا كاتب هذه الأحرف. وكان من الحاضرين في هذا الاحتفال سيادة الصدر الأعظم للأعتاب الشريفة السيد الحاج محمد المقري[3].

---

(1) محمد بن عبد السلام الرندة. فقيه قاض نوازلي وزير. من أعلام مدينة الرباط. وهو من مواليد سنة 1288هـ - 1870م. عمل كاتبا بمراكش إبان عهد السلطان المولى عبد العزيز. ثم عين بعد ذلك عدلا بمرسى العرائش. ثم بمرسى مدينة آسفي. قبل أن تتم توليته عضوا بمجلس الاستئناف الشرعي بمدينة الرباط. ثم قاضيا فيما بعد. فوزيرا للعدلية.

له تآليف كثيرة. منها تآليف حول الأضرحة والمزارات التي بالرباط وشالة.توفي يوم الجمعة 12 ربيع الأول 1365هـ 15فبراير 1946م. ودفن من يومه بشالة الأثرية. وذلك بوصية منه. وللعلامة سكيرج مقصورة في مدحه. وتحذيره من الوقوع في أعراض أولياء الله تعالى. أوالميول إلى الفئة المنكرة عليهم. تقع هذه المقصورة في 156 بيتا قال في مطلعها:

العذل لا يسمعه أهل الهوى — حيث هم قد فقدوا فيه الحجى
كيف يليق بمحب يدعي — حب حبيب ويميل للعدا

إلى أن يقول في بعض أبياتها:

وكيف لا وهو الرضى الرندى محمداأجل عالم قد اهتدى
ذو همة تسمو به في رفعة — زاد بها تواضعا بين الورى

أنظر ترجمته في "من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا" 2: 130- 140. " معلمة المغرب " 13: 4451. " سل النصال " لابن سودة118 موسوعة أعلام المغرب 9: 3208.

(2) جمعية أوقاف الحرمين الشريفين. أحدثت إبان السنوات الأولى لعهد السلطان المولى يوسف. وكان الذي تولى رئاستها آنذاك هو الأستاذ قدور بنغبريط. ولهذه الجمعية مندوبون بدول مختلفة. لاسيما منها دول المغرب العربي. التي كانت خاضعة إذ ذاك تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي. ويعود أول اجتماع لأعضاء هذه الجمعية إلى تاريخ 20 غشت 1917م بمدينة الرباط.

(3) محمد بن عبد السلام المقري. الصدر الإعظم بالمغرب. الصدر الإعظم بالمغرب (رئيس الوزراء) شغل هذا المنصب منذ سنة 1337هـ - 1919م. وظل متقلدا به طيلة عهد السلطانين المولى يوسف وخلفه محمد الخامس. وهو من مواليد سنة 1261هـ - 1845م. توفي صباح يوم الاثنين 13 صفر 1377هـ - 9 شتنبر 1957م. عن عمر يناهز 115 سنة.

أنظر ترجمته في "موسوعة أعلام المغرب " 9: 3330.

ورئيس التشريفات الوزير الشرفي المفوض السيد الحاج قـدور ابـن غبـريط[1]. ووزيـر الأحباس الفقيـه السيد محمد ملين[2]. ووزير القلم بالديار التونسية السيد الهادي الأخوة[3]. ورئيس التشريفات بها السيـد يـونس حجـوج. وعامـل بنـزرت الجنـرال بـن خوجـة[4].

---

(1) قدور بن أحمد بنغبريط. سياسي محنك. من مواليد مدينة تلمسان بالجزائر سـنة 1288هـ - 1872م. شـغل مناصب هامة من ضمنها تعيينه رئيسا للتشريفات الملكية. وذلك ضمن عهد السلطان المولى يوسف. كما عمل رئيسا لجمعية أوقاف الحرمين الشريفين. فكلف في هذا الصدد بإعادة تنظيم هذه الأوقاف. الشيء الذي دفعه للقيام بزيارات عديدة لدول شمال افريقيا. بالإضافة إلى بلاد الحجاز التي زارها على رأس وفد من مندوبي الجمعية المذكورة. وكان خلالها مبعوثا من طرف جلالة المغفور له المولى يوسف إلى الشريف حسين بن علي ملك الحجـاز. وذلـك سـنة 1334هـ - 1916م.

ولمترجمنا الدور البارز في تشييد مسجد باريس والمعهد الإسلامي المجاور له. وهو الذي تولى مأمورية اسـتدعاء وفود الدول الإسلامية لحضور تدشينهما بباريز سنة 1926م. كما تولى إدارة شؤون هذا المسجد إلى حين وفاته سنة 1373هـ - 1954م. ودفن بالمسجد نفسه.

أنظر ترجمته في " موسوعة أعلام المغرب 9: 3292. وفي " معلمة المغرب" 5: 1450- 1451.

(2) محمد بن عبد الله ملين الرباطي. فقيه مدرس أديب وزير. من أعلام مدينة الرباط. أخذ عن جماعة من علمـاء هذه المدينة. كالمكي البطاوري. والجيلالي بن ابراهيم. ومحمد الرغاي. وفتح الله بناني وآخرين.

له مؤلفات منها: المناهج السارية للبهجة المرضية. وهو شرح على بهجة السيوطي على ألفية ابن مالـك. ومنهـا أيضا: إرشاد الخواص والعوام لفعل الواجب وترك الحرام. وكتاب الأخلاق والتوحيد. وغير ذلك من مؤلفات أخـرى.

وهو من مواليد سنة 1303هـ. توفي عشية يوم الخميس 7 جمادى الأولى 1372هـ - 23 يناير 1953م.

أنظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب 9 3280. وفي كتاب " من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا 2: 169 - 173م

(3) الهادي الأخوة. سياسي محنك. تونسي. من مواليد 15 شتنبر 1872م- جمادى الثانيـة 1289هـ ، بتـونس العاصمة. عمل في مناصب حكومية هامة. كان من ضمنها تعيينه رئيسا لقسم المحاسبات بالحكومة التونسية سـنة 1913م. ثم وزيرا للقلم والاستشارة في حكومة خليل بوحاجب سنة 1926م. قبل أن يترقى إلى منصب الوزير الأكبر في عهد أحمد باشا الثاني سنة 1932م. وظل محتفظا بهذا المنصب إلى حين وفاته سنة 1368هـ - 1949م.

أنظر ترجمته في مشاهير التونسيين ص 667.

(4) محمد (فتحا) بن محمد البشير ابن الخوجة. أديب مؤرخ سياسي محنك. من مواليد تونس العاصمة في 6 فبراير 1869م - شهر ذي القعدة 1286هـ. تولى مناصب بارزة في الحكومة التونسية.كان آخرها تعيينه واليا على إقليم قابس وجربة سنة 1920م. ثم نقل عاملا على الكاف سنة 1921م. ثم على بنزرت سنة 1925م. ثم مستشارا للدولة الحسينية بعد أن أحيل على التقاعد سنة 1934م. وهو المنصب الذي شغله إلى حين وفاته.

وله مؤلفات كثيرة منها: الرزمانة التونسية، في عدة أجزاء. تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد. الشـيخ عمـر والحاج فتوح. وهي محاورة بين هذين الشخصين حول آداب رمضان. وهي باكورة أعمالـه. ولـه أيضـا الرحلـة الناصرية. يدور موضوعها حول رحلة الملك محمد الناصر باي إلى فرنسا.

توفي بتاريخ 18 ذي الحجة 1361هـ - 27 دجنبر 1942م. أنظر ترجمته في " مشاهير التونسيين " 493- 494. "تراجم الأعلام" 293 - 316. "تراجم المؤلفين التونسيين 2: 259 - 261.

وكاهية شيخ المدينة بها الكولونيل مصطفى صفر[1]. ومفتي قسنطينة المحبوب. السيد المولود بن الموهوب[2]. ومفتي الحضرة الوهرانية. سليم الطوية. السيد الحبيب بن عبد المالك[3]. وقاضي الحضرة التلمسانية السيد عبد القادر الدواجي. وقاضي بسكرة السيد محمد (فتحا) ابن ساسي. مع أناس آخرين.

وجرت المذاكرة في البدع التي عمت بها البلوى بين من حضر. وكنت ملازما الحياد عن الخوض في معمعة تلك المذاكرة التي شعرت فيها بمن رام جر البساط إلى الخوض في عرض شيوخ الطرق. بل في عرض من تصوف. وبصفة كوني أنتصر للصوفية أجمعين. وعلى الأخص من بين الطرق الطريقة التجانية. التفت إلى جماعة من أعيانهم. وأخص بالذكر من لم أسمه أولا إجلالا وتكرمة. من بينهم رئيس مجلس الإستيناف الأعلى الشريف السيد محمد بن العربي العلوي[4].

---

(1) مصطفى صفر. أديب ناشط في المجال الفني. مدرس سياسي مشهور.من مواليد تونس العاصمة سنة 1892م – 1310هـ. عمل ضمن مناصب حكومية بارزة. كان منها انتخابه شيخا لمدينة تونس ورئيسا لمجلسها البلدي. وله يعود فضل تأسيس جمعية الرشيدية سنة 1934م. وهي جمعية تعنى بجمع التراث الغنائي الأندلسي التونسي. وقد ظل على رأسها إلى حين وفاته في 2 صفر 1360هـ – فاتح مارس 1941م.
أنظر ترجمته في " مشاهير التونسيين 639– 640. " المعهد الرشيدي للموسيقى الأندلسية".

(2) مولود بن محمد بن موهوب. فقيه مفت أديب. جزائري. من مواليد قسنطينة سنة 1283هـ – 1866م. ولي إفتاء المالكية بالمدينة المذكورة. كما تصدر للتدريس بجامعها الكبير. وله مؤلفات منها: "نظم الأجرومية". و "شرح منظومة التوحيد للمجاوري ". و" مختصر الكافي في علم العروض والقوافي. توفي بعد سنة 1349هـ – 1930م.
أنظر ترجمته في " أعلام الجزائر " 197. " الأعلام للزركلي" 7: 333. عن نهضة الجزائر الحديثة 1: 134.

(3) الحبيب بن عبد الملك. فقيه فاضل. من خيرة علماء وهران. وهو مفتيها. ومقدم الطريقة التجانية بها. كانت تربطه بالعلامة سكيرج صداقة وأخوة متينة. كما أنه استدعاه لزيارته بمدينة وهران سنة 1329هـ – 1911م. فلبى العلامة سكيرج الدعوة وألف حول هذه الزيارة رحلة شيقة سماها: الرحلة الحبيبة الوهرانية. الجامعة للطائف العرفانية.
توفي بموطنه بوهران على الساعة التاسعة من صباح يوم السبت 11 رمضان المعظم 1359هـ – 13 أكتوبر 1940م. ودفن بروضة بودومة بالمدينة ذاتها. أنظر ترجمته في كتابنا: رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1 : 16.

(4) محمد بن العربي العلوي المدغري. فقيه قاض. أخذ عن جماعة من كبار علماء وقته. منهم أحمد بن الخياط الزكاري. ومحمد(فتحا) بن قاسم القادري. وخليل الخالدي. بالإضافة لأبي شعيب الدكالي. وهو عمدته وموجهه وبه تخرج.
وقد تولى مهاما ومسؤوليات عديدة. منها رئاسة مجلس الاستئناف بمدينة الرباط. وهو العمل الذي كان يشغله أثناء هذه المناظرة. كما تولى من بعد منصب وزير للعدلية. توفي مساء يوم 23 محرم الحرام 1384هـ – 4 يونيه 1964م بالرباط. ثم نقل جثمانه إلى مسقط رأسه مدغرة. وبها دفن.
أنظر ترجمته في سل النصال لابن سودة 195–197. وفي موسوعة أعلام العرب 9: 3383– 3385.

ووزير العدلية سابقا السيد بوشعيب الدكالي[1]. وأستاذ الحضرة الشريفية السيد محمد المعمري[2]. ومندوب العدلية الشريفية السيد محمد الحجوي. وإني لأجلهم بما لهم من فضل علي. غير أني لا أقبل منهم شنيع الإنكار الذي يحط من قدر من هو لكل مكرمة أهل. فكان أول ما فاجأني به رئيس مجلس الإستئناف المذكور[3] أن قال: أنه كان في أيامه الخالية (ويعد ذلك من أيام بطالته) متقيدا بعهد الطريقة التجانية. وقد انسلخ عنها لكون التقيد بالطرق بدعة. بل نفس الطرق بدعة يتعين محاربة أهلها باللسان والبنان. وكل ما هو داخل في حيز الإمكان. حتى لا يبقى أثر لها ولا لأهلها مع الحنفية السمحة طريقة الكتاب والسنة. ونحا نحو هذا القول بعبارته العذبة التي حركت ممن ذكر البواعث على إطلاق ألسنتهم بتوجه الخطاب إلي. وكأنني شيخ تربية. أو فاتح زاوية. فقال الفقيه الحجوي[4]:

---

(1) وزير العدلية الشيخ أبو شعيب بن عبد الرحمان الدكالي الصديقي. ولد بدار الفقيه ابن الصديقي بدكالة في 25 ذي القعدة عام 1296هـ. وكان رحمه الله آية في الفقه والحفظ. فقد حفظ القرآن كله إلا خمسة أجزاء منه في سنة واحدة. وحفظ الأجرومية في يوم واحد. وألفية ابن مالك في عشرة أيام. ومتن الشيخ خليل في خمسة أشهر. واستكمل رحمه الله القرآن برواية السبع عن شيخه الأستاذ سيدي محمد بن المعاشي.
ثم تعاطى بعد ذلك لطلب العلوم. فأخذ عن عشرات الشيوخ. منهم الفقيه العلامة السيد الطاهر قاضي الحضرة المراكشية. ومحمد بن عزوز. ومحمد بن أبي شعيب. والطاهر بن قدور وغيرهم. وفي سنة 1314هـ رحل للمشرق العربي. فأقام بمصر ست سنوات. ثم رحل للحجاز بطلب من أمير مكة الشريف عون الرفيق. وذلك لإقراء العلم بها. وفي سنة 1327هـ رجع للمغرب فانتخب قاضيا بمراكش عام 1329هـ. ثم وزيرا للعدلية عام 1330هـ. وتوفي رحمه الله ليلة السبت 18 جمادى الأولى عام 1356هـ-27 يوليوز 1937م. ورثاه العلامة سكيرج بميمية قال في مطلعها:

الدهر قاض نافذ الأحكام ... حتى على الحكماء والحكام
من ذا الذي في الحكم عانده ولم ... يقضي عليه بعاجل الإعدام

انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 3. وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 2 ص 141. وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 167. وفي قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 46.

(2) محمد بن محمد المعمري. فقيه أديب شاعر. من أصل جزائري. ولد سنة 1298هـ. كان يعمل مدرسا لأنجال السلطان المولى يوسف. ثم أصبح ذا مركز سام في بلاط جلالة المغفور له محمد الخامس. توفي صباح يوم الجمعة 2 محرم الحرام عام 1392هـ - 17 فبراير 1972م. أنظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب 9: 3440.

(3) يعني به محمد بن العربي العلوي.

(4) محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي أصلا الفاسي دارا ومنشأ. ولد بفاس عام 1291هـ حفظ القرآن الكريم على الشيخين الجليلين محمد بن عمر بن سودة. ومحمد بن الفقيه الورياجلي. ثم اشتغل بطلب العلم بالقرويين منذ عام 1307هـ. ومن شيوخه الذين أخذ عنهم العلامة محمد بن التهامي الوزاني. ومحمد (فتحا) بن قاسم القادري. ومحمد بن محمد بن عبد السلام كنون. وعبد السلام الهواري. وأحمد بن الجيلالي الفيلالي الأمغاري. وأحمد بن الخياط. وعبد المالك الضرير العلوي وغيرهم.
وبعد تخرجه زاول التدريس بجامعة القرويين. ثم أسندت إليه سفارة المغرب بالجزائر على مدى سنتين ابتداء من عام 1321هـ. ثم عين وزيرا للعدل. وبعدها وزيرا للمعارف الإسلامية في عهد الحماية الفرنسية بالمغرب. وكانت وفاته بالرباط سنة 1376هـ - 1956م. ونقل لفاس. حيث دفن ببعض مساجدها. وله رحمه الله تآليف كثيرة منها: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي. والبرهان في الفرق بين الألوهية والنبوة. والمحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات في الديار المغربية. والصورة الجمالية في تاريخ إفريقيا الشمالية. وإتحاف الزائر بمشاهدة أرض الجزائر. والرحلة الأوروبية فيما شاهدته بأراضي فرنسا وإنجلترا من التقدمات العصرية. ومستقبل تجارة المغرب. والتعاضد المتين بين العقل والعلم والدين. وغير ذلك من التآليف الأخرى. انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 146. وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 96. وفي العز والصولة لعبد الرحمان بن زيدان ج 2 ص 53. وفي مقدمة كتابه الفكر السامي ج 1 ص 9 - 23.

الذي يظهر لي أن أهل الطرق لو نقصوا من ترهاتهم شيئا قليلا. ونحن نقصنا من لهجتنا شيئا قليلا لحصل الوفاق بيننا وبينهم. فما تقول يا فلان ؟ وأشار إلي. فقال الشيخ أبو شعيبان فلان وقصدني ليحرك مني الدم [1]. وكأني به لم يقصد بقولته الذم. إنه معنا على وفاق. وهو اللائق بحالته السياسية. فهو من الجانب السياسي أقوى منه بين الجانب الفقهي. ولا أخاله إلا موافقا لنا. فقال الرئيس المذكور[2]: نحن فيما نقوله ونعتقده على حق. ولسنا بغالين في مذهبنا الذي نحن متمسكون بحبله المتين. الذي هو كتاب الله وسنة رسوله الأمين. فكيف ننقص من لهجتنا مع المبتدعة الذين كادوا أن يقضوا على الشريعة المحمدية بما فرضوه وسنوه للعامة. وأعانهم على ما ابتدعوه قوم آخرون.

فعندئذ قلت: يا قوم أرجو منكم أولا أن تتركوا السب. وعليكم أن تنتقدوا ما لم تعتقدوا. وعلى أن التسليم أولى بمن لم يكن مطلعا على جميع ما اشتملت عليه الشريعة. فقد اختلفت المذاهب بتنوع المشارب. وقد علم كل أناس مشربهم. فقال الرئيس: نحن لا نسب. وقديما قيل: السب سلاح العاجز. ونحن غير عاجزين على إقامة الأدلة على تحقق بدعة الطرقيين وما أحدثوه في الدين. وقد قال تعالى في تأديب المنتصرين للحق: ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله [3].

فقلت له: عفا الله عنا وعنكم. فهل من أخذ عن شيوخ الطرق يعد عابدا لهم ؟ والدعاء في الآية بمعنى العبادة. ولن تجد طرقيا متوغلا في الجهل يعبد شيخا من الشيوخ. فقولوا الحق في ما تبدونه من النكير على أهل الله. فقال أحدهم: نحن لا نقول لهؤلاء المتصوفة بأنهم أولياء الله. ولكنهم من حزب الشيطان أقرب لخروجهم من باب الشريعة إلى ما انتحلوه من شرائع لم يات الله بها من سلطان. فقلت لهم:

---

(1) بمعنى الدم، وهو السائل الأحمر الذي يجري في عروق الإنسان.

(2) يعني به محمد بن العربي العلوي.

(3) للرد على هذا الاعتراض نقول: أن الإدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجمع الصحابة كلهم على دعاء معين منها. وإنما كان كل منهم يدعو بما طاب له منها. ثم أتى التابعون من بعدهم فأضافوا إلى هذه الأدعية أدعيات أخرى. ولم يروا في ذلك بأسا ولا حرجا. وازداد نطاق الأدعية اتساعا بظهور مشايخ التصوف. الذي كانوا يهدفون بالأوراد إلى ربط الناس بالذكر والدعاء. خاصة وأن المسلمين كانوا قد فتروا عن قراءة القرءان وعقد مجالس الذكر. فكان لابد من تحريك هممهم وإثارة عزائمهم وشحد قواهم الروحية. وإعادتهم إلى حظيرة التعاليم الإسلامية الصحيحة.

والمتأمل في أوراد وأحزاب الطرق الصوفية يجدها عبارة عن ابتهالات وتقربات وتصليات. تحمل من المعاني الكريمة ما يملأ النفس إيمانا. والقلب سكينة واطمئنانا. والروح سموا وحركة. والجسد خفة وفعالية.

ففيها تأكيد لوحدانية الله تعالى. وتمجيد لأسمائه ونعوته وصفاته. وفيها صيغ للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تليق بجنابه العظيم ومكانته السامية التي لا تدانيها مكانة.

فكيف يسوغ لمن يعترض على هذه الأدعية والأوراد بحجة أنها لم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه الكرام رضي الله عنهم. ورحم الله الإمام علي بن أبي طالب إذ يقول: الناس أعداء ما جهلوا. ومن هذا النطاق أيضا قول الشاعر أبي العلاء المعري:

ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا ... تجاهلت حتى ظن أني جاهل
فوا عجبا أن يدعي العلم جاهل ... ووأسفا أن يدعي الجهل فاضل

إن سوء الظن يؤدي بأصحابه إلى أكثر من هذا[1]. وليس بضارهم عدم اعتقادكم فيهم وقد اعتقد فيهم. غيركم. فقالوا بلسان واحد: إن اعتقاد غيرنا فيهم هو الذي حملنا على أن نجرد سيوف الإنكارعليهم. ليتحقق العامة والخاصة بأن من حاد عن الكتاب والسنة ضال مضل مبين. وهم سائر الطرقيين من غير استثناء أعلامهم من جهالهم. فقد استحوذت خاصتهم على عامتهم. وقضوا على الشريعة بما وافق أغراضهم الشخصية. فلا شيخ منهم إلا وهو يدعو لنفسه كأنه رسول من رب العالمين[2]. ولا تابع لهم إلا وهو يشن الغارة على غير شيخه بما يتحاشى عن ذكره سائر المنكرين. فاللائق بالأمة أن تتفطن لما أصابها من هذه الطرق المحدثة. وشر الأمور المحدثات البدائع. وقد قال الرسول الحقاني عليه السلام: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد[3]. فهذه الطرق كلها رد. ومن جملتها طريقتك التجانية التي أخذ عليك فيها العهد. فقلت لهم: أرجو منكم أن تخبروني ماذا تنكرون على الصوفية عموما وأهل الطرق بالخصوص ؟

أتنكرون عليهم أورادهم المشتملة على الإستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والهيللة في عدد صباحا ومساء. ومحافظتهم على أداء الصلوات المفروضة ؟ فلا طرقي من الطرقيين إلا وهو محافظ على هذه الآشياء. وعليها مدار الطرق.

فقال الرئيس المذكور[4]: يقول الله تعالى لسيد المرسلين: إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء[5]. وهؤلاء قد فرقوا دينهم فنحن لسنا منهم في شيء. ولقد ضلت كثير من شيوخ هذه الطرق على علم فاقتفى آثارهم قوم ضلوا وهم في غريق الجهل. خصوصا عند مطالعتهم لكتب أشياعهم. وما أودعوه طيها مما

---

(1) نعوذ بالله من سوء الظن بأهل الله تعالى وأوليائه وذاكريه ومحبيه ومن انحاش إليه. قال تعالى: وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا. سورة النجم الآية 28. وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم. سورة الحجرات الآية 12. وقد صدق الشاعر المتنبي حين قال:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته ... وأصبح في ليل من الشك مظلم

(2) هذا محض كذب وافتراء على حضرة ساداتنا أولياء الله تعالى. ولا أدري كيف سولت لهذا الفقيه نفسه أن يفوه بمثل هذا الكلام الجارح البعيد عن الحق والصواب. ولكن فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. وكان من الأولى به أن يعمل بالحديث القدسي الصحيح الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وقد رأينا بأعيننا مصير أعداء أولياء الله تعالى. وكيف شتت الله شملهم ومزقهم كل ممزق. وأنزل بهم أصعب الفجائع وأشد الرزايا. وجعلهم عبرة لمن يعتبر.
فلو أننا ألقينا نظرة على تاريخ مشايخ التصوف وما وقع لمبغضيهم من مصائب ومحن لأدركنا مدى دفاع الله عن أوليائه. وغيرته عليهم. وحبه إياهم. ومقته لمن ينكر عليهم أو يعاديهم.

(3) أنظر صحيح الإمام البخاري رقم الحديث 2697.

(4) يعني به محمد بن العربي العلوي.

(5) سورة الأنعام الآية 159.

يقضـــــــي بابتداعهم وزيغ جهلتهم وضلالهم. فهذا شيخهم الأكبر[1]. يقول في تفسيره مـــا يقول في قوله تعالى: إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يومنون[2]. مـــا ملخصه: إن الذين كفروا ستروا محبتهم في ربهم عنك يا محمد. لاشتغالهم به عن غيـــره. سواء عليهم في جنب ما يكابدونه من الوصول لحضرته أأنذرتهم بأنواع الخزي ومـــا وراء ذلك من سوء المعاقبة. أم لم تنذرهم بان تركتهم وما هم فيه من مقتضيات محبـــتهم التـــي هاموا بها في مهامة الهوى والجوى. فهم لا يومنون بما جئتهم به لتردهم عن محبتهم. ختم الله على قلوبهم فلا يدخل إليها محبة غيره. وعلى سمعهم فلا يسمعون مـــا يكـــدر صـــفو محبتهم. الخ... فأي ضلال بعد هذا ؟ إن هذا إلا ضلال مبين. ونحو هذا من كلام شـــيوخهم مالا يسعه المجال. مثل من أراد محو فضيلة القرآن باختلاق فضل الفاتح لما أغلق[3].فكيف يقبل مثل هذا من يتمسك بالحبل المتين. كتاب الله وسنة رسوله الأمين.

وهنا حمي وطيس المذاكرة. وتداخل غير من ذكر من الحاضرين من المـــدعوين لاحتفـــال الوزير المذكور بأعضاء جمعية أوقاف الحرمين الشريفين. حتى أدى الحـــال إلـــى أن قـــال الوزير المفوض المحترم السيد قدور ابن غبريط :

إني لأرى نفسي تميل معكم الآن بعدما كنت أجد مني ميلانا إلى الطريقة التجانية. لكونها في اعتقادي أبعد الطرق عن البدع وعدم تقيد أهلها بحبل الغرور والخدع. ولو أتيح لي أن أكون طرقيا لكنت دخلت في حزبها. ولكن قولكم قد أفصح عما لم يكن بالحسبان. فهؤلاء الشيوخ ومن نحا منحاهم ممن لا يدعون للكتاب والسنة. إنما هم داعون إلى ما شرعوه طبق قولكم. وما صرحتم به من هذه المقالات التي تقشعر منها الجلود.

وقد استحسن كلامه الصدر الأعظم المقري. وبعض هؤلاء المناظرين بما فرجه عنهم بكونه من حزبهم. وفرحوا بما سمعوه منه.

---

(1)يعني به الشيخ محي الدين ابن عربي الحاتمي صاحب الفتوحات المكية.

(2) سورة البقرة الآية 6

(3) هذا كذب وافتراء وتجرؤ على أعتاب شيخ ذي مكانة عالية في العلم والإستقامة والصلاح. وهـــو الشـــيخ أبـــو العباس أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه. الذي هو غني عن التعريف. ويكفينا أن نعود إلى عصره لنجد أن من جملة مريديه جماعة من كبار علماء ذلك الحين. في مقدمتهم السلطان العادل المولى سليمان. والعباس بن كيـــران. وأحمد بن محمد بناني. وأحمد دبيزة العلوي. ومحمد بن فقيرة. والهادي بادو المكناسي. وعبد السلام العلمي. ومحمد الحافظ العلوي الشنجيطي. وابراهيم الرياحي التونسي وغيرهم.

فهل كل هؤلاء كانوا أغبياء. أو سدجا. أو قاصرين عن معرفة حقيقة هذا الشيخ المذكور. وهم مـــن هـــم مـــن ذوي الدرجة الرفيعة في العلم والمعرفة الصحيحة. حفظا وفهما ودراية واستيعابا.

فكيف يسوغ لهذا الفقيه المتاخر وقته أن يتهم هذا الشيخ المجمع على فضله وولايته بكونه أراد محو فضيلة القرآن. وأنه اختلق من عنديته ثوابا خاصا وخياليا لصلاة الفاتح لما أغلق. سبحانك هذا بهتان عظيم. والذي لا يخفى علـــى أحد أن الحسد هو السبب الدافع لكل هذه المثالب. وهو الذي جر هذا الفقيه ومن على شاكلته إلى الوقوع في عرض هذا الولي الفاضل. ورحم الله الشاعر أبا الأسود الدؤلي إذ يقول:

حسدو الفتى إذ لم ينالـــوا سعيـــه   فالقوم أعـــداء له وخـــصـــوم
كضرائـــر الحسناء قلن لوجههـــا   حسدا وبغضا إنـــه لذميـــــم

فقلت لهم: على رسلكم[1] أيها السادات. فهل يقضى على جماعة بما نسب لفرد منها على فرض صحته في النسبة إليه. ولم يقبل تأويلا في جوهر لفظه حتى لو تحققت ردته ومات على كفره (عياذا بالله) فهل يحمل المتبرئ من الكفر على الكافر ؟ ولقد شهدت للشيخ الأكبر برسوخ القدم في المعرفة بالله جل جلة عصره فمن بعدهم. ولا يقوى من طعن فيه قوته علما وفضلا. ولست بمنقص لكم. غير أني أريد منكم أن تصعدوا في مصاعد من صعد قبلكم في أوج التحقيق. فتدعوا ما لم تقبله عقولكم. ولا يحملكم ذلك على التجاهر بتضليل أفراد عدوا في صدر الأمة من عيون الأعيان. ولقد علمتم ما قيل في الشيخ الأكبر من أنه ما خاض مع علماء علم إلا عد من أعلمهم.

وأما ما تعرض سيادة الرئيس له من فضل صلاة الفاتح. فقد رمى به جزافا. ولم ينصف في نقل ذلك عمن ذكر ذلك الفضل مفصلا في حق بعض التالين. أما الجوهر اللفظي القرءاني فهو في الشأو الذي لا يلحق ولا يحوم حوله من راقب الحق.

وعلى فرض صحة ما قاله وهو يعلم بأنه خلاف ما يقوله لمطالعته لكتب الطريقة التي ذكر فيها فضل صلاة الفاتح. فإن الطريقة مبناها على ما ذكرنا من استغفار وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وهيللة ومحافظة على الصلوات المفروضة. وناهيك بأهل هذه الطريقة محافظة على إقامتها في أوقاتها جماعة وأفذاذا. وما زاد على الورد المذكور فهو إما فضل خاص بأهله، أو فضول موضوع في غير محله. فقال: أي فضل يعتد به في جانب ما لم يرد عن الشارع. وما جميع مثل هذا إلا ومبناه على مراءي منامية. وهي أضغاث أحلام.

فقلت له: لقد قلت لكم إن مبنى هذه الطريقة مما أسس على تقوى من الله ورضوان. ولا أخال جل الطرق إلا كذلك. وكون فضل أوراد الطرق لم يرد عن الشارع. يقال عليه: إنه وإن لم ترد جميع الصيغ المعروفة عند أهلها. فبعضها فضله وارد كالهيللة ونحوها. على أنه ما ورد منع عن الشارع. بعمل الشخص بما ترتب عليه ذلك الفضل الغير الوارد في زعمكم. ويكفي في ذلك البشارات المنامية التي أظنكم تستهونونها. وقلتم أنها أضغاث أحلام. وهي تطمين لقلب الرجل الصالح المسارع للخيرات. والعمل بها بعد أداء المفروضات.لكون الرؤيا الصالحة من المبشرات التي يراها الرجل الصالح أو ترى له كما ورد بذلك الحديث.

(1) على رسلكم : على مهلكم.

وفي الصحيح: الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة[1]. وقد قلنا أيضا: ما زاد على ذلك فضل أو فضول. فأين ما تنكرون على الشيوخ في مثل هذه الأذكار ؟

فقال أستاذ الحضرة الشريفة[2]: قد اشتملت بعض الأذكار التجانية على وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالأسقم[3]. وهو وصف شنيع لا ينبغي وصفه به. فقلت: لم يرد المنع من وصف النبي في مقام الثناء عليه بما يشعر بالتنويه بقدره العلي. وهذا الوصف من أتم أوصافه. فإن جده سيدنا إبراهيم عليه السلام وصف نفسه فيما أخبر الله به عنه فقال: إني سقيم[4]. وما سقمه إلا لفرط ما داخله من حزنه على قومه الذين لم يوحدوا خالقهم فأشركوا معه عبادة الأصنام. وقد حصل لنبينا عليه السلام من الاهتمام بأمر أمته ما حمله على أن قال: شيبتني هود وأخواتها. وذلك من خوفه عليهم وحزنه الأكبر. فهو الأسقم الأتم.

فقال الشيخ أبو شعيب: ما بال هؤلاء الشيوخ أعرضوا عن الوارد إلى ما لفقوه من تصلياتهم. فحببوا للعامة تلك الصيغ المشتملة على مثل هذه الألفاظ الموهمة التي نحوا بها منحى الغريب عما ألفه الناس. والنفوس دائما تتطلع إلى كل مستغرب. ما أرى هذا ونحوه منهم إلا إعراضا عن قول الرسول الذي ينبغي التمسك به في حق من يريد الوصول. زيادة على كون هذه الأذكار التي يذكرونها صباحا ومساء في عددها الخاص شيء محدث. وقد ألزموا مريديهم بها. فهو من قبيل إلزامهم بما لم يلزمهم الله به. على أننا لو فرضنا أنه نذر المكرر. وهو مكروه على مشهور مذهب الإمام.

فقال الرئيس المذكور: وأزيدك أنهم يعتقدون أن من تركه يكفر ويموت على سوء الخاتمة: فهذا مما خوفوا به العامة. وهي طامة وأي طامة! فقلت لهم: قد قيل قديما:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا[5]

---

(1) أنظر صحيح الإمام البخاري. كتاب باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة. رقم الحديث 6989.

(2) يعني به العلامة محمد المعمري سبقت ترجمته في ص

(3) لفظ الأسقم من ألفاظ صلاة جوهرة الكمال في التعريف بسيد الرجال. وهي من أذكار الطريقة التجانية اللازمة. تقرأفي ختام الوظيفة 12 مرة. وقد أنكر هذا اللفظ بعض الفقهاء المتعصبين. فألف في الرد عليهم غير واحد من جهابذة علماء هذه الطريقة. نذكر منهم العلامة الفقيه سيدي محمود بن المطمطية. حيث ألف في هذا الصدد ثلاثة كتب مفيدة وهي:

1- قتيلة الشاب. في نحر من حرف جوهرة سيد الأقطاب.
2- أنياب القسورة. لكسر عظام من حرف الجوهرة.
3- إرشاد الشيخ النبهاني. منكر كلمة الأسقم على شيخنا التجاني.

(4) سورة الصافات الآية 89.

(5) هذا البيت الشعري منسوب إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وقد نسج على منواله الإمام الشافعي ثلاثة أبيات أخرى. ونص الجميع:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا
ولست بهياب لمن لا يهابني ... ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا
فإن تدن مني تدن منك مودتي ... وإن تنأ عني تلقني عنك نائيا
كلانا غني عن أخيه حياته ... ونحن إذا متنا أشد تغانيا

فإن مثل هذه المقالات وذكرها مما نعده في جنب الطريقة فضولا.

وهو إذا صح من قول الشيخ. فيحمل على كفران المريد للنعمة التي كان أنعم الله عليه بها فتركها. ولا يبعد أن يؤدي ذلك بكافر النعمة إلى إطلاق لسانه في أهل الله فيموت على سوء الخاتمة[1]. وكفى المرء انتصارا أن يرى عدوه في معصية الله. ولا أقل من سوء الظن في عبادة الله:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه　　　وصدق ما يعتاده من توهم[2]

على إني أحاشي جانبكم من التحامل على الذاكرين لله. المصلين على مولانا رسول الله عليه السلام. فتنفير الناس عنهم بمثل هذه العورات ـ عنكم ـ وما هي بعورة. فقال:

أو ليس هذا مذكور في كتب هذه الطريقة حتى كتبك المؤلفة فيها ؟ فقلت له: إن ترغيب المريد في الشيء وترهيب المريد في ترك الفضل قد يفضي بالمتوغل فيه إلى أن يخرج به الفضول إلى نحو ما تقول. وقد علمت تاويله على فرض صحته من قول الشيخ المرغب في الخير المرهب للمريد بما لا يقال للغير. مع أن هذا ونحوه ليس من الطريقة في شيء. وإنما هي أوراد يلتزمها المريد مع ملازمة أداء ما هو مفروض عليه من الصلوات ونحوها. بمحافظة تامة كما قلنا أولا. أما كراهة تكرار النذر فليس بمجمع عليه. وكفى استدلالا على كونه مرغبا فيه إجماع من يعتد بهم من العارفين على العمل به. وقد جرى العمل حتى عند الفقهاء بأشياء يجب الفتوى بها وهي مخالفة للقول المشهور. حتى قال ناظم العمليات الفاسية[3] :

---

(1) من هذا القبيل ما قيل قديما: اللسان أجرح جوارح الإنسان. ومن ذلك أيضا قول الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان: احفظ لسانك فإن الكلمة أسيرة في وثاق الرجل. فإن أطلقها صار أسيرا في وثاقها .. إهـ. ورحم الله الشاعر إذ يقول:

احفظ لسانك أيها الإنسان　　　لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه　　　كانت تهاب لقاءه الشجعان

ومن ذلك أيضا قول الشاعر الآخر:

جراحات السنان لها التئام　　　ولا يلتام ما جرح اللسان

(2) هو البيت الثامن من قصيدة لأبي الطيب المتنبي قال في مطلعها:

فراق ومن فارقت غير مذمم　　　وأم ومن يممت خير ميمم

(3) هي أرجوزة طويلة. جمع فيها ناظمها ما يقرب من ثلاثمائة مسألة. جرى بها العمل في الأحكام عند قضاة مدينة فاس. وناظمها هو العلامة المؤرخ الأديب الحافظ أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. المدعو بسيوطي زمانه. له ما يزيد على سبعين مصنفا. تختلف ما بين فقه وأدب وتاريخ وتصوف وسيرة وتراجم. وهو من أشهر علماء المغرب وأكثرهم بروزا. لاسيما في عصره. ومما قاله في حقه معاصره العلامة الأديب أبو سالم العياشي:

ما في البسيطة طرا من يباريكا　　　يا أطيب المنتمى سبحان باريكا
وقد سبرت الورى فلم أجد أحدا　　　ممن يروم العلا منهم يوازيكا
شرقا وغربا فلم يطرق مسامعنا　　　من في سنين الصبا يجري مجاريك
من ألف الكتب في سن البلوغ ومن　　　له بكل العلوم كفتاويك
غصن المجادة في دوح السيادة من　　　روض الولاية قد جلت معاليكا
رقيت في رتب المجد الأثيل فما　　　في عصرنا أحد يرقى مراقيكا

توفي سنة 1096هـ – 1685م. ودفن بزاويتهم بحومة القلقليين بفاس. أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني 1: 315 . وفي الدرر الفاخرة لابن زيدان 13. وفي عناية أولي المجد للسلطان المولى سليمان 43. وفي الاستقصا 4: 51. وفي نشر المثاني (موسوعة أعلام المغرب) 4: 1682–1685. وفي الأعلام للزركلي 3: 310.

وما به العمل دون مشهور   مقدم في الأخذ غير مهجور

فقال: نحن لا نقول بالعمل. والعمل المعتد به إنما هو الموافق لما جاء به الرسول عليه السلام. ومثل هذه العمليات هو الذي وقف بالناس في موقف الإعراض عن الحق بما تقتضيه أغراض من عملوا بما خالف الكتاب والسنة. فبدلوا ما جاء عن الرسول عليه السلام بما جاء من عندياتهم. فتفرقوا شيعا مثل الطرقيين[1].

فقلت له: نحن مقيدون بمذهب. والحضرة الشريفة تلزم القضاة بالحكم بالعمل. فقال نحن لا نعمل إلا بما جاء عن الرسول. ولا عمل بمخالفته. فقلت له: في هذا نوع من الإفتيات على من نحن ملزمون بطاعته. وإدعاء مخالفة العمل لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى إطلاع تام على جميع ما ورد عنه عليه السلام. وأنى بهذا للمجتهد. فضلا على المقلد. على أننا نتحقق بأن الحق واحد. واختلاف الأمة رحمة. وجميع المذاهب لا تقصد إلا الحق ولا تدعوا إلا إليه. وهي في الحقيقة طرق. وأهلها طرقيون. ولم يعدوا من الذين فرقوا دينهم. فالمالكي محمدي. والشافعي محمدي. والحنفي محمدي. ونحوهم ممن اجتهدوا. فهم يعتقدون أنهم محمديون. أخطأوا في اجتهادهم أو أصابوا. مثل ما نقوله في حق الشادلي. والمنتسب لطريقه محمدي. والتجاني محمدي. وهكذا سائر الطرق. غير أن طرقهم لا تسمى مذاهب. والمتقيد بحبل إمامه لا يقال فيه مخالف في عمله للكتاب والسنة. مع وضوح المخالفة في كثير من الفروع المذهبية فيما بين أهلها.

فقال: نحن لا نعمل إلا بالكتاب والسنة. ولا نعمل بما خالفهما. ولو قال به أي مذهب كان.

فقلت له: حتى لو قال به مشهور مذهب مالك ؟ فقال: حتى لو قال به مالك! فنحن لا نعمل إلا بما قال الله ورسوله عليه السلام.

فقلت له: إذن أنتم غير مقيدين بمذهب ؟

فقال: نعم[2]!

فقلت: كفاني خروجكم من المذهب. وإني أحاشي جانبكم عن مثل هذه الحدة التي ألجأتكم إلى الخروج من المذهب.

---

(1) لا أدري كيف يسوغ لهذا الفقيه أن يطعن في كتاب العمل الفاسي للإمام الحافظ العلامة الشهير عبد الرحمان الفاسي. وهو من هو في العلم والحفظ والمعرفة والفهم. بالإضافة إلى كون هذا الكتاب (العمل الفاسي) معمول به في الأحكام منذ عدة قرون ولت. وقد أقره وشهد بفضله وعمل به مئات علماء القروين. إن لم نقل الآلاف منهم. كعبد القادر بن شقرون. ومحمد بن زكري. وعلي الحريشي. وأحمد بن عبد العزيز الهلالي. وعبد القادر بوخريص. ومحمد بن الحسن بناني (محشي الزرقاني). والتاودي بن سودة. والطيب بن كيران. وعبد القادر الكوهن. ومحمد بن المدني كنون وآخرين. فهل كل هؤلاء كانوا على خطأ. أم كانوا يسكتون عن الحق ويحبذون مخالفة الكتاب والسنة.حاشا معاذ الله. بل كانوا علماء كبار. ذوي إلمام واسع بالفقه وأصوله وكلياته وفروعه وجزئياته وفتاويه.
والذي اعتقده أن حال هذا الفقيه في اعتراضه على هذا الكتاب (العمل الفاسي) يمشي على نمط قول الشاعر:

وكم من عائب قولا صحيحا   وآفته من الفهم السقيم

(2) إقرار هذا الفقيه بخروجه عن المذهب هو شيء غريب لا يحتاج إلى تعليق.

فقال: نحن نقول لك: مذهبنا الكتاب والسنة. وأنتم تقولون مذهبكم غيرهما من المذاهب والطرق. وبين الحالتين ما بين النازل للحضيض والراقي في أعلى الأفق.فقلت للحاضرين.إذن:

صارت مشرقة وصرت مغربا   شتان بين مشرق ومغرب

فبالله عليكم أيها السادة إلا ما سلكتم سبيل الرفق في الإصلاح. وتركتم عنكم الناهجين منهج ذوي الصلاح. وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين. ثم حان وقت انفضاض مجمع الاحتفال. فهدأت الأصوات. وتمت المناظرة من غير شفاء غليل الجانبين فيها في تلك السويعة. وتفرق الجمع بسلام.

وكل يدعي وصلا بليلى   وليلى لا تقر لهم بذاك

ثم اتفق اجتماع البعض منهم معنا بعد هذه المذاكرة بالحضرة المراكشية. باستدعاء باشاها السيد الحاج التهامي المزواري الكلاوي[1]. وكان ذلك الاجتماع بقصره المعروف بالستينية. وجرت المفاوضة في جراءة إبليس على الحضرة الإلاهية. حيث أبى من السجود. وكان ذلك عن مستملحة أدبية ضمن أبيات تعرضت فيها لوصف الكاهية الأديب مصطفى صفر[2] المذكور. بما قلت من جملتها:

فيا ابن بشير إنني بك معجب   وأزداد إعجابا بآدابك الغرر

بما لك من لطف تقابل بالوفا   محبيك ممن منهم بر أو فجر

ولو أن إبليسا أتاك مصافيا   لصافيته في الود لكن بلا ضرر

فتأخذه عن نفسه بلطافة   ولو لم يخلد لعنه بك كان بر

ألست ترى الشيطان صاحب نخوة   لما عاند المولى ولا خادع البشر

وهذا دهاء منك خادعته به   فصافاك لكن صرت منه على حذر

في أبيات أخرى. وكانت جرت المذاكرة في ذلك. وهو يميل إلى إستحسان هذا الوصف. وكان عهدي ببشار ابن برد أو عمر ابن أبي ربيعة ينحو منحى مدح اللعين على ما صدر منه من الإباية. ولو أوقعته في الطرد المؤبد. قائلا: إن ذلك من رفع همته. ولهذا داعبته بالأبيات المذكورة غير موافق له على هذه الإباية العريقة في الغواية. وفي حال المفاوضة في هذه القضية تكلم الشيخ أبو شعيب الدكالي. ونسب اعتقاد براءة إبليس مما فعله من

---

(1) التهامي بن محمد المزواري الكلاوي. باشا مدينة مراكش في عهد الاستعمار الفرنسي. تولى هذا المنصب عقب وفاة أخيه المدني الكلاوي سنة 1337هـ–1919م. وظل يزاوله مدة تزيد على 35سنة. توفي بمراكش يوم الاثنين 8 رجب 1375هـ – 1956م. ودفن بضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي بحومة رياض العروس.
أنظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب لحجي 9: 3309. وفي الأعلام للزركلي 2: 89.
(2) سبق التعريف به في ص: 11

الإبايـة إلـى جماعة من طغاة المتصوفـة. وحمـل علـى الشيـخ الجيـلـي[1] صـاحب الإنسـان الكامـل حملة شنعاء فقال:

إن كتاب الإنسان الكامل[2]. وحقه أن يسمى بالإنسان الناقص. قد بسط فيه القول فـي هـذا المهيع. وقد انطوى هذا الكتاب على فظائع منها هذه القولة المستقبحة. وأطلق لسانه فـي عرض بعض رجال التصوف. وفي مقدمتهم الجيلي المذكور. وابن عربي. وأنه أحرق نسخا من هذا الكتاب وقعت بيده. ثم طفق يعرض بالمنتصر لهم. وكأنه يقصدني فيما جرى فـي المذاكرة السالفة. فلم أصبر على سماع القبيح وتحامله على هؤلاء السادة في مجمع حفيـل نحن فيه على خطر جميعا إن بقيت ساكتا. فقلت له:

يا شيخ: اتق الله. فقد ورد في الحديث الشريف: اذكروا موتاكم بخير. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. فقال لي: هذا شيء يعنيني ويعني من كان مثلي يناضل عن الكتاب والسنة. فقلت له: يقول الله: يا أيها الـذين آمنـوا اتقـوا الله وقولوا قولا سديدا[3]. ويقول رسول الله عليه السلام: بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه. وقد انتهكت حرمة هؤلاء السادة. فقال للحاضرين وقد علا صوته: أنشدكم الله فهل تعرضت لعرض أحد ؟ فقلت له: وهل بعـد حرق تأليفه وتكفيره وغير ذلك مما ألحقته من المذمة من هتك عرض. من طول لعرض. أما والله لو حضر الجيلي في هذا المقام ما قدرت على أن تفوه بمثل هذا الكلام.

فقال: وها أنا أتكلم. فقلت له: لم أكن بالجيلي لأناضل عن نفسي. ولكن اتق الله في جانب

(1) عبد الكريم بن ابراهيم الجيلي. صوفي مشهور. من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني. له مصنفات عظيمة القدر منها: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل. ولوامع البرق الموهن. في معنى ما وسعتني أرضي ولا سـمائي ووسعني قلب عبدي المومن. وكهف الرقيم، في شرح بسم الله الرحمان الرحيم. والناموس الأعظم والقاموس الأقدم، في أربعين جزءا. والكمالات الإلاهية في الصفات المحمدية وغيرها.
توفي سنة 832هـ -1428م. أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي 4: 50-51. معجم المطبوعـات لسـركيس 728. هدية العارفين لإسماعيل البغدادي 610. كشف الظنون لنفس المؤلف 181.

(2) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل. للعلامة العارف بربه عبد الكريم الجيلي. كتاب في التصوف، يحتوي على ما يناهز سبعين بابا.

(3) سورة الأحزاب الآية 70.

أهل الله فلحومهم مسمومة[1]. ولطالما نظرنا إليكم نظر احترام. ولا نقابلكم بما تكرهون من اعتراض في كلام. وأبيتم أن تحترموا ما نحترم. فأشار إلي بيده. وقد سقطت منها سبحته. وقال: اقض حاجتك ودعني وما يعنيني. فقلت:

أما حاجتي فقد قضيتها. ثم تناولت السبحة من الأرض وقلت له: بالله عليك قل لـــي: مـــاذا تعمل بهذه في يدك وهي علامة المبتدعة عندك ؟ فكان من حقك أن تتركها لأهلها. فقال: تلك سبحتي أذكر فيها أورادي. فقلت له: وهذا أيضا ؟ على الناس حرام وعليك حـــلال ؟ ولكـــن التعصب يقضي بذم غير المذموم. ولو أدى صاحبه الانتصار لما انتحله إلى اختلاف مشؤوم. فقد قيل لمامون بن أحمد الهروي: ألا ترى إلى الشافعي ومن تبعه بخرسان؟ فقـــال حـــدثنا أحمد بن عبد البر. حدثنا عبد الله ابن معدان الأزدي. عن انس مرفوعا: يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن ادريس أضر على أمتي من إبليس. ويكون في أمتي رجل يقال لـــه أبـــو حنيفة هو سراج أمتي هو سراج أمتي.

فلا بدع إذا نحا منحى هذا المحدث محدثون. وهم من محدثات الأمور ينفرون وينفرون. ولله في خلقه شؤون. ثم تركته يقول ما شاء. وخرجت من بينهم قائلا: ربنا اغفر لنا ولإخواننـــا الذين سبقونا بالإيمان. ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا[2]. آمين.

وقد كتبت هذه المذاكرة تذكارا لما جرى مع اختصار تام. ومراعاة لمعنى ما قالوه وقلنـــاه. وإن كان وقع بعض مخالفة في التعبير. لعدم حفظنا للألفاظ التي راجت. ولله الأمر من قبـــل ومن بعد. إهـــ.

---

(1) لم يسلم الأولياء في كل عصر ممن يناصبهم العداء. وقد أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل.

ومعاداة الأولياء هي في الحقيقة ابتلاء صريح لصدق إيمانهم وعزيمتهم الفياضة. وانصهار لنفوســهم فـــي بوتقـــة الصبر والاستعانة بالله. ولعل أشد الأولياء بلاء هو الشيخ أبو العباس سيدي أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه. فقد حورب في أول أمره في مسقط رأسه (عين ماضي) من طرف العثمانيين. وحورب بعد ذلك منهم في تلمسان. وفـــي الشلالة ودير أبي سمغون. وبلغت العداوة بمبغضيه أن كانوا ينادون بإبعاده وتشريده وتضييق الخناق عليه فـــي أي مكان يأوي إليه.

بيد أن الله تعالى أيده بوافر عنايته الكريمة. وسام شانئيه سوط المهانة والذل. وأحذت الطريقة التجانية سبيل النمو يوما بعد آخر. إلى أن ولجت بأورادها كل مدينة وقرية. واقتحمت بأنوارها مجال كل بيت. وصار لها انتشار لا يدانيه انتشار. حتى أن أتباعها يعدون اليوم بمآت الملايين. لاسيما بالقارة الإفريقية السمراء. يرددون أذكارها. ويستظلون تحت دوحتها الوارفة. ويتنسمون شدى طيبها العابق.

(2) سورة الحشر الآية 10 .